



**أصول الدعوة وموانع الاستجابة للحق**

**في ظلال سورة الشعـراء**

**أحمد رضوان محمد وزيري**

**أصول الدعوة وموانع الاستجابة للحق في ظلال سورة الشعـراء**

**أولًا: أصول الدعوة:**

1- الرحمةُ بالمدعوين والشفقة عليهم.

* حديث "من دعا إلى هدى" في ظلال سورة الشعراء.
* ما دلالة تكرار (العزيز الرحيم) وما هي العلاقة بين الاسمين الكريمين وبين القصص الوارد في السورة؟؟
* قد يسأل سائل: وماذا أستفيد أنا من دعوة الناس؟؟

إنك بالدعوة تضاعِف عمرك وتثقل موازين حسناتك.

2ــ من وسائل الدعوة: لفت أنظار المدعوين للتفكر في مخلوقات الله، والحذر من سلب النعم.

* من مؤهلات الداعية (بلغوا عني ولو آية).

3ــ التحرك نحو المدعويين أعلى مراحل الدعوة، وأوضح مظاهر الرحمة.

* تحديد الهدف من الدعوة: ألا وهو تحقيق التقوى وحث الناس عليها وهي غاية الغايات.
* الدعاة بشر قد يعتريهم شئ من الخوف، وعلاجه استحضار معية الله تعالى.
* خطأ المسلم أو معصيته لا تمنعه من الدعوة.

4ــ الداعية لا ينتصر لنفسه، ولا يشغله عن هدفه الأسمى أي شاغل.

5ــ يا قوم لا أسئلكم عليه أجرًا.

6ــ ترتيب الأولويات، وعلى رأسها توحيد الله تعالى.

7ــ ومن أصول الدعوة: التذكير باليوم الآخر، وأثر الإيمان به في الاستجابة لله وللرسول.

7ــ استخدام كافة الوسائل، كالحوار والمجادلة بالتي هي أحسن.

**ثانيًا: ما موانع الاستجابة لدعوة الأنبياء في ظلال سورة الشعراء؟**

* الإعراض عن الحق اتباعًا للهوى.
* التقليد الأعمى للآباء.
* الاستكبار على دعوة الأنبياء.
* المصالح والمناصب الدنيوية.
* مرض القلب وعدم السعي في طهارته استعدادًا للقاء الله تعالى.

**وقفة مع اسم السورة "الشعراء":**

الشعر كلام؛ فمِن خلال اسم السورة نعرف قيمة وخطورة الكلمة؛ فإما أن يكون الكلام خبيثا يدعو للشر أو يكون الكلام طيبا يدعو للخير ولهذا قال تعالى في ختام السورة ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (226) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: 224 - 227].

فذكر هنـا مثالين:

المثال الأول للكلمة التي تؤدي للغواية والتي ينجذب إليها الغاوون، وقد جاء في السورة سبع قصص للمجرمين فرعون وملائه وعاد وقوم نوح وقوم لوط وثمود ومدين وكفار قريش، وهؤلاء استقطبتهم الكلمة الخبيثة واستهوتهم وساوس الشيطان.

المثال الثاني نجد الكلمة الطيبة والطيبين من الأنبياء والأولياء الذين اتبعوا نهج الشريعة:

الأنبياء الكرام موسى وإبراهيم ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

**الأصل الأول:**

1ــ الرحمة بالمدعوين والشفقة عليهم، هكذا كان الأنبياء وكل من تبعهم رحماء بالخلق ورد اسم الله الرحيم في السورة تسع مرات كما جاء اسم الله الرحمن في قوله تعالى:

﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (5) فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [الشعراء: 5، 6]، وعندما تقرأ هذه الآية تقف على مدى إجرام هؤلاء المعرضين عن الدين في حق أنفسهم، وذلك لأن اسم الرحمن في الآية يدلك على أن الذكر الذي جاء به الرسل إنما هو رحمة بالمدعوين وصلاح لدنياهم وأخراهم، ونفع لهم في جميع أحوالهم، وكلُّ هذا من آثار اسم الله الرحمن، فشريعته حكمة وعدل ورحمة لاحرج فيها، ولا عنَت، وإنما هي يُسرٌ في كل جوانبها: اعتقادًا وأخلاقًا وعبادةً.

**والأنبياء هم أرحم الخَلق بالخَلق:**

وكما وصف الله حبيبه في أول السورة: ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ \* إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ [الشعراء: 3، 4].

وأمره في آخرها: ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (215) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (216) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (217) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ [الشعراء: 215 - 218].

ما دلالة تكرار (العزيز الرحيم) وما العلاقة بين الاسمين الكريمين وبين القصص الوارد في السورة؟؟

أن الله تعالى يفتح باب الرحمة للناس لعلهم يتوبون؛ كما فتح باب الرحمة لقوم نوح ألف سنة إلا خمسين عاما؛ لكنهم أصروا على الكفر فأغلق باب الرحمة والفضل وفتح باب العزة والعدل فدعا عليهم نبي الله نوح ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (117) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (118) فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (119) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (120) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (121) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء: 117 - 122].

وكما فتح باب الرحمة لفرعون لعله يتذكر أو يخشى، لكنه لم يزدد إلا استكبارًا وطغيانًا، فأغلق باب الرحمة والفضل، وفتح باب العزة والعدل: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (63) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (64) وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (65) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (66) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (67) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء: 63 - 68].

وهكذا سائر القصص، وتلك سنة الله في خلقه تسبق رحمتُه غضبَه ويسبق حلمُه مؤاخذتَه، كما في حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لمّا خلق الله الخلق كتب في كتاب، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي، وفي رواية: غلبت غضبي، وفي رواية: سبقت غضبي)؛ متفق عليه.

**قد يسأل سائل وماذا أستفيد أنا من دعوة الناس؟؟**

إنك بالدعوة تضاعِف عمرك وتثقل موازين حسناتك، فالمسلم عندما يرحم المدعوين ويحرص على هدايتهم، فإنما يرحم نفسه ابتداءً؛ لأنه ينال ثوابًا عظيمًا بدعوتهم؛ فبالدعوة يضيف المسلم إلى عمره أعمارًا أخرى، يُثقل بها موازين حسناته يوم القيامة؛ كما في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا".

وهذا الحديث يبيِّن مقاصد سورة الشعراء؛ ففيها دعاة إلى إلى الهدى وهم الأنبياء ومن تبعهم، وفيها دعاة إلى الضلال وهم المستكبرون الفاسدون والمفسدون ومن تبعهم، وفي هذا تحذير من معصية عمت بها البلوى ألا وهي: نشر فيديوهات الفواحش والشبهات، عن طريق الشير في وسائل التواصل الاجتماعي، فيأتي من نشر وشير تلك الفيدوهات وقد حمل أوزارًا لم يعملها، ولا يدري أنه دعا الناس إليها، فكتبت في موازين سيئاته فباع آخرته بدنيا غيره!

وهنا أدعو من تظهر له صفحة غواية أن يسارع بالإبلاغ عنها؛ حتى يكون قد أنكر المنكر.

وعلى الجانب الآخر من عمل على نشر الفضيلة، فهذا بابُ دعوة عظيم، وهذا الثواب يشمل كل خير تدلُّ الناس عليه سواء في الدين أو في الدنيا؛ كما روى الترمذي في سننه عن أنس بن مالك أنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل يستحمله فلم يجد عنده ما يتحمله، فدله على آخر فحمله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال إن الدال على الخير كفاعله".

2ــ تحفيز المدعوين على التفكر في مخلوقات الله، والنظر في بديع صنع الله، وعظيم آلائه ونعمه التي لا تعد ولا تحصى، والتحذير من سلب النعم بعدم شكرها: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (7) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (8) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء: 7 - 9].

**مؤهلات الداعية (بلغوا عني ولو آية):**

قد يعتذر بعضهم عن واجب الدعوة بحجة أنه لا يحفظ القرآن! ونقول له: أولا يجب أن نفرق بين الدعوة وبين المجادلة والمحاجة فالثانية يختص بها العلماء، أما الدعوة: يكفي أن تحدث الناس عن حبك لله، وإننا لنرى من يحب فتاة يتغنى بحبها ليل نهار، ويصدِّع بعشقها الآذان! فدعاة الحق أولى بحمل قضية الدين إلى الخلق جميعًا.

**(والذين آمنوا أشد حبًّا لله):**

انظر إلى خليل الله إبراهيم كيف أظهر حبه لله تعالى: ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (75) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (76) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: 75 - 77].

كأنه يقول لهم حبيبي ومعبودي هو رب العالمين، أما ما سواه من المعبودات الباطلة، فإني أتبرأ منها، وأدعوكم لاجتناب الشرك، والتوجه بالكلية لرب البرية عبادة وذكرًا وتوكلًا، ثم يلفت أنظار المدعوين إلى النعم المنسيَّة بسبب إِلف الناس لها، اعتاد الناس نعمة الطعام والشراب والوجود والشفاء بعد المرض، ونسي كثير من الخلق مقدار تلك النعم وعظمة ذي الفضل والمنَّة سبحانه ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (81) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (82) رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [الشعراء: 78 - 83].

والتحذير من سلب النعم بسبب كفرانها، والغفلة عن شكر الله عليها، كما انتهى الحال بفرعون ومن معه ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (57) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (58) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الشعراء: 57 - 59]، التحذير من استخدام النعم في الفساد الإفساد؛ فتنقلب النعم نقمًا على أصحابها كما فعلت عاد قوم سيدنا هود عليه السلام:

﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (128) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (129) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (130) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (131) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (132) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (133) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (134) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الشعراء: 128 - 135].

من أراد الأمن الحقيقي ودوام النعم فليشكر ربه بتوحيده وطاعته وتقواه؛ لينال بذلك خيري الدنيا والآخرة، كما حذر صالح قومه ثمود من الأمن المريب الذي يُنسي ويُطغي ويجر إلى الفساد، ويصرف الخلق عن التفكر في المعاد ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (146) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (147) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (148) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (149) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (150) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (151) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ [الشعراء: 146 - 152].

لكن من بدل نعمة الله كفرًا، فلا يلومن إلا نفسه، حين ينزل به العذاب كما نزل ب ثمود قوم سيدنا صالح عليه السلام: ﴿ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (155) وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (156) فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ (157) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (158) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء: 155 - 159].

ومن النعم الجليلة والآيات العظيمة نعمة الزواج؛ فمن شكرها كانت له في حياته سكن ومودة ورحمة

ومن كفرها واستبدلها بالشذوذ فقد استوجب سخط الله كما فعل قوم لوط، فحذَّرهم نبيهم: ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (165) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ [الشعراء: 165، 166].

فلما أصرُّوا على الفسق والفجور، فأُغلقوا على أنفسهم باب الرحمة والفضل والتوبة، فَفُتح عليهم باب العزة والبطش الشديد: ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ (168) رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (169) فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (170) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (171) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (172) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (173) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (174) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء: 168 - 175].

شكر الله على نعمه سبحانه بالتزام الشريعة، كما أمر سيدنا شعيب قومه بإحسان الكيل والميزان، ونهاهم عن بخس الناس أشياءهم، حتى لا يستحقوا الويل والعذاب: ﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (181) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ [الشعراء: 181، 182].

وإذا شعر الموحد بضيق في العيش، فليشكر الله على نعمة الإيمان التي حُرم منها الكافرون، وإن تمتعوا في الدنيا فكل هذا إلى زوال: ﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ \* ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ \* مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ \* وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴾ [الشعراء: 205- 208].

**الأصل الثالث:**

3ــ الحركة نحو المدعويين أعلى مراحل الدعوة ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (10) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: 10، 11].

تحديد الهدف من الدعوة ألا وهو تحقيق التقوى وحث الناس على التقوى وهي غاية الغايات، فلئن كانت الغاية من الخلق العبادة، فغاية العبادة تحقيق التقوى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (105) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: 105، 106].

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (123) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: 123، 124].

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (141) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: 141، 142]. ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (160) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: 160، 161].

﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (176) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: 176، 177].

كما وعد الله عباده المتقين بالجنة، وحذر المعرضين من الحجيم فقال تعالى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (90) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (91) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (92) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ (93) فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (94) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ [الشعراء: 90 - 95].

الدعاة بشر قد يعتريهم شيء من الخوف "خـوف عدم الاستجابة، خوف السخرية، خوف التلعثم في أداء الدعوة، خوف التعيير أو المؤاخذة بذنب قديم مغتفر عند الله بسبب التوبة الصادقة، كل هذا لايمنع المسلم من واجب الدعوة والبلاغ"، لكن يذهب هذا الخوف علمهم بأن الله معهم ناصرهم ومؤيدهم بالآيات: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (12) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ (13) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (14) قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (15) فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (16) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الشعراء: 12 - 17].

**خطأ أو معصيته المسلم لاتمنعه من الدعوة:**

﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (14) قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴾ [الشعراء: 14، 15]، وجاء في تفسير ابن كثير عند قوله سبحانه: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: 44].

قال: وذهب بعضهم إلى أن مرتكب المعاصي لا ينهى غيره عنها، وهذا ضعيف، وأضعف منه تمسكهم بهذه الآية؛ فإنه لا حجة لهم فيها، والصحيح أن العالم يأمر بالمعروف، وإن لم يفعله، وينهى عن المنكر، وإن ارتكبه، قال مالك عن ربيعة: سمعت سعيد بن جبير يقول له: لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء، ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر. وقال مالك: وصدق؛ من ذا الذي ليس فيه شيء؟ قلت: ولكنه - والحالة هذه - مذموم على ترك الطاعة، وفعله المعصية؛ لعلمه بها، ومخالفته على بصيرة، فإنه ليس من يعلم كمن لا يعلم؛ ولهذا جاءت الأحاديث في الوعيد على ذلك.

وهناك مرحلة أخرى في الدعوة لا يُعفى منها أحد، كل شخص بحسب استطاعته: ألا وهي دعوة الأهل ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (213) وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: 213، 214]

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)؛ متفق عليه.

دعوة الزملاء والأصدقاء، دعوة الجيران، دعوة المعلم لتلامذته، دعوة الطبيب للمرضى والعكس، دعوة السائقين للركاب والعكس، كل من لقي أخاه فليدعه إلى الله

قال العلماء: الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه وما هو تحت نظره، ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه، والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته.

**4ــ من أصول الدعوة: عدم الانتصار للنفس والتركز في الغاية الأسمى ألا وهي تعبيد الناس لله تعالى:**

﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (18) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [الشعراء: 18، 19]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (20) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (21) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الشعراء: 20 - 22].

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (23) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ [الشعراء: 23، 24]، أراد فرعن تهييج العامة على موسى، لكنه ثابت على الغاية الكبرى، تذكير الناس بربهم ونعمه وآلائه: ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (25) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الشعراء: 25، 26]، بدأ فرعون في محاولة صرف موسى عن هدفه؛ وذلك بشتمه والسخرية منه رجاء أن يشغله بالدفاع عن نفسه بدلا من دعوة الناس للتفكر في عظمة الله وقدرته؛ لكن موسى نجا من هذا الفخّ، واستمر في إثبات وحدانية الله ودعوة القوم إليها، ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (27) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الشعراء: 27، 28].

هنا أنتقل فرعون إلى أسلوب التهديد، فوجد موسى هذا فرصة لإظهار الآيات والمعجزات التي تؤيد رسالته واتصاله بالسماء، لتكون تلك المعجزات دعوة لهم إلى وحدانية الله، وعدم الإشراك به فهو القوي العزيز الرحيم سبحانه وبحمده: ﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (29) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (30) قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (31) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (32) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (33) قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (34) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ [الشعراء: 29 - 35].

5ــ ابتغاء الثواب من الله تعالى وحده؛ فهذا نهج جميع الأنبياء: ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (109) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [الشعراء: 109، 110].

بل إن الأنبياء تميزوا بالكرم والعطاء فعن موسى بن أنسٍ عن أبيه، قال: ((ما سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام شيئًا إلَّا أعطاه، قال: فجاءه رجلٌ، فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم أسلموا، فإنَّ محمَّدًا يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة).

6ــ من أصول الدعوة، ترتيب الأولويات، وعلى رأسها توحيد الله تعالى وعبادته والتحذير من الشرك، وهذا شأن الانبياء جميعا والذي يجب على الدعاة أن يلتزموه، كما فعل نبي الله إبراهيم؛ فبدأ بهدم صرح الشرك الذي عشش في نفوس فقومه، ليغرس في قلوبهم وحدانية الله تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (69) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (70) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴾ [الشعراء: 69 - 71].

وهكذا علم النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه الذين كانوا سفراء دعوة الناس في ربوع الأرض ترتيب الأولويات: عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: لما بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - معاذ بن جبل إلى نحو أهل اليمن قال له: (إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم، فإذا أقرُّوا بذلك فخذ منهم، وتوق كرائم أموال الناس)؛ متفق عليه.

سيدنا نوح: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (105) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (106) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (107) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [الشعراء: 105 - 108].

سيدنا هود: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (123) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (124) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (125) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (126) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِي ﴾ [الشعراء: 123 - 127]، وهكذا سائر الأنبياء والمرسلين.

6ــ التذكير باليوم الآخر، ووجوب الإيمان به؛ سبيل للفوز برضوان الله تعالى: وتأمل دعاء نبي الله إبراهيم: ﴿ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (84) وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (85) وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (86) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (87) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (90) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (91) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (92) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ (93) فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (94) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ [الشعراء: 84 - 95].

نعم، لقد كان اليوم الآخر ركيزة أساسية في دعوة الأنبياء، وانظر إلى السحرة كيف انعكس الإيمان بالله وباليوم الآخر على سلوكهم، وقوة قلوبهم؛ فحين تهددهم وتوعدهم فرعون ماذا قالوا؟ (﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (50) إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: 50، 51].

تهدَّدهم فلم ينفع ذلك فيهم، وتوعَّدهم فما زادهم إلا إيمانًا وتسليمًا، وذلك أنه قد كشف عن قلوبهم حجاب الكفر، وظهر لهم الحق من أن هذا الذي جاء به موسى لا يصدر عن بشر، إلا أن يكون اللّه قد أيده به وجعله له حجة، ودلالة على صدق ما جاء به من ربه ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (121) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (122) قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (123) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (124) قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (125) وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (126) وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (127) قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (128) قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (129) وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (130) ﴾ [الأعراف: 121 - 130]؛ أي: المرجع إلى الله عزَّ وجلَّ، وهو لا يضيع أجر من أحسن عملًا، ولا يخفى عليه ما فعلت بنا وسيجزينا على ذلك أتم الجزاء"؛ تفسير الإمام ابن كثير.

)سيدنا هود يذكر قومه باليوم الآخر ويحذير قومه من عاقبة التكذيب في الدنيا والآخرة: ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (135) قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴾ [الشعراء: 135، 136]

7ــ من أصول الدعوة: استخدام كافة الوسائل المشروعة، كالحوار والمجادلة بالتي هي أحسن، هذا واضح في دعوة الأنبياء:

**من نماذج المحاورة والجدال في سورة الشعراء؛ وتبدأ المحاورة بعدما ذهب موسى لدعوة فرعون:**

♦ فرعون يزدري موسى، ويستنكر أن يكون رسولا وقد تربى في بيته وليدًا صغيرًا: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ [الشعراء: 18].

قال ألم نربك فينا وليدًا على جهة المنِّ عليه والاحتقار؛ أي: ربيناك صغيرًا ولم نقتلك في جملة من قتلنا، ولبثت فينا من عمرك سنين، فمتى كان هذا الذي تدعيه"؛ تفسير القرطبي.

♦ سيدنا موسى يرد علي فرعون ويبطل مزاعمه عن طريق الهجوم وتذكيره بجرمه في حق بني اسرائيل قال: ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الشعراء: 22].

أي: تدلي علي بهذه المنة لأنك سخرت بني إسرائيل، وجعلتهم لك بمنزلة العبيد، وأنا قد أسلمتني من تعبيدك وتسخيرك، وجعلتها علي نعمة، فعند التصور، يتبين أن الحقيقة، أنك ظلمت هذا الشعب الفاضل، وعذبتهم وسخرتهم بأعمالك، وأنا قد سلمني الله من أذاك، مع وصول أذاك لقومي، فما هذه المنة التي تبت بها وتدلي بها؟"؛ تفسير السعدي.

♦ فرعون يهول من واقعة القتل الخطأ التي بدرت من موسى رغبة منه في هزيمته نفسًّيا: ﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [الشعراء: 19].

لكن هيهات، فقد حظي موسى بغفران الله، ولا يغفر الذنوب إلا الله.

♦ وسيدنا موسى يرد عليه بالحجة الساطعة: ﴿ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ [الشعراء: 20]، وكان موسى قد بدأ بالرد على هذه الهجمة؛ بحسب ترتيب القرآن؛ وذلك لشناعة تلك التهمة، وأهمية تفنيدها:

أنت تقول أني أنا قتلت رجلًا واحدًا، وأنت قتلت قومًا وذبحت أطفالًا برآء، ولم أصل إلى بيتك ولم تضعني أمي التابوت، ثم تلقيني في البحر حتى وصلت إلى قصرك؛ إلا بسبب طغيانك وبطشك وظلمك..

جاء في تفسير السعدي: (وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ) وهي قتل موسى للقبطي، حين استغاثه الذي من شيعته، على الذي من عدوه فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ الآية.

وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ أي: وأنت إذ ذاك طريقك طريقنا، وسبيلك سبيلنا، في الكفر، فأَقـرَّ فرعون على نفسه بالكفر، من حيث لا يدري"!

فقال موسى: ﴿ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾؛ أي: عن غير كفر، وإنما كان عن ضلال وسفه، فاستغفرت ربي فغفر لي"، ﴿ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: 21].

♦ انتقل فرعون ليسأل سؤال استكبار لا سؤال استفهام: ﴿ قَالَ فِرعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾، قوله تعالى: ﴿ قال فرعون وما رب العالمين ﴾، لَمَّا غلب موسى فرعون بالحجة ولم يجد اللعين من تقريره على التربية وغير ذلك حجة، رجع إلى معارضة موسى في قوله: رسول رب العالمين، فاستفهمه استفهامًا عن مجهول من الأشياء، قال مكي وغيره: كما يستفهم عن الأجناس فلذلك استفهم بـ"ما"، قال مكي: وقد ورد له استفهام بـ"من" في موضع آخر، ويشبه أنها مواطن"؛ تفسير القرطبي.

يقول تعالى مخبرًا عن كفر فرعون، وتمرُّده وطغيانه وجحوده، في قوله: (وما رب العالمين)؟ وذلك أنه كان يقول لقومه: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص: 38]، ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ﴾ [الزخرف: 54]، وكانوا يجحدون الصانع - تعالى - ويعتقدون أنه لا رب لهم سوى فرعون، فلما قال له موسى: ﴿ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الزخرف: 46]، قال له: ومن هذا الذي تزعم أنه رب العالمين غيري؟ هكذا فسره علماء السلف وأئمة الخلف، حتى قال السدي: هذه الآية كقوله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ [طه: 49، 50].

ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم; أن هذا سؤال عن الماهية، فقد غلط; فإنه لم يكن مقرًّا بالصانع حتى يسأل عن الماهية، بل كان جاحدًا له بالكلية فيما يظهر، وإن كانت الحجج والبراهين قد قامت عليه"؛ تفسير ابن كثير.

= سيدنا موسى يجيبب ويعرفهم بالحبيب القريب المجيب: ﴿ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (20) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (21) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (22) قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (23) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (24) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (25) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (26) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (27) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (28) قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (29) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (30) قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (31) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (32) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (33) قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (34) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (35) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (36) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (37) فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (38) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (39) ﴾ [الشعراء: 20 - 39]؛ أي: خالق جميع ذلك ومالكه، والمتصرف فيه وإلهه، لا شريك له، هو الله الذي خلق الأشياء كلها، العالم العلوي وما فيه من الكواكب الثوابت والسيارات النيرات، والعالم السفلي وما فيه من بحار وقفار، وجبال وأشجار، وحيوان ونبات وثمار، وما بين ذلك من الهواء والطيور، وما يحتوي عليه الجو، الجميع عبيد له خاضعون ذليلون.

(إن كنتم موقنين)؛ أي: إن كانت لكم قلوب موقنة، وأبصار نافذة"؛ تفسير ابن كثير.

♦ أراد فرعن تهييج العامة على موسى؛ إذ إنهم يعبدون ملوكهم، فقال مستنكرًا: ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾ [الشعراء: 25].

♦ فرد سيدنا موسى متوجهًا إلى القوم مخاطبًا عقولهم: ﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الشعراء: 26].

فسيدنا موسى ثابت على الغاية الكبرى، تذكير الناس بربهم ونعمه وآلائه، فجاء بدليل يفهمونه عنه؛ لأنهم يعلمون أنه قد كان لهم آباء وأنهم قد فنوا وأنه لا بد لهم من مغير، وأنهم قد كانوا بعد أن لم يكونوا، وأنهم لا بد لهم من مكون"؛ تفسير القرطبي.

♦ ينتقل فرعون إلى اتهام سيدنا موسى بالجنون: ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (27) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الشعراء: 27، 28]، فقال فرعون معاندا للحق، قادحًا بمن جاء به: ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الشعراء: 27]؛ حيث قال خلاف ما نحن عليه، وخالفنا فيما ذهبنا إليه، فالعقل عنده وأهل العقل، من زعموا أنهم لم يُخلقوا، أو أن السماوات والأرض، ما زالتا موجودتين من غير مُوجد وأنهم، بأنفسهم، خُلقوا من غير خالق، والعقل عنده، أن يُعبد المخلوق الناقص، من جميع الوجوه، والجنون عنده، الإقرار والإيمان بالرب الخالق للعالم العلوي والسفلي، والمنعم بالنعم الظاهرة والباطنة، ويدعو إلى عبادته، وزين لقومه هذا القول، وكانوا سفهاء الأحلام، خفيفي العقول: ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [الزخرف: 54]؛ تفسير السعدي.

♦ سيدنا موسى يجيب: ﴿ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الشعراء: 28].

رب المشرق والمغرب أي ليس ملكه كملكك; لأنك إنما تملك بلدًا واحدًا لا يجوز أمرك في غيره، ويموت من لا تحب أن يموت، والذي أرسلني يملك المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون وقيل: علم موسى عليه السلام أن قصده في السؤال معرفة من سأل عنه، فأجاب بما هو الطريق إلى معرفة الرب اليوم، ثم لَما انقطع فرعون لعنه الله في باب الحجة رجع إلى الاستعلاء والتغلب، فتوعد موسى بالسجن، ولم يقل ما دليلك على أن هذا الإله أرسلك; لأن فيه الاعتراف بأن ثم إلهًا غيره"؛ تفسير القرطبي.

♦ فرعون يعجز عن السؤال وعن الجواب وينتقل إلى التهديد: ﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشعراء: 29].

لَمَّا قامت على فرعون الحجة بالبيان والعقل، عدل إلى أن يقهر موسى بيده وسلطانه، وظن أنه ليس وراء هذا المقام مقال فقال: (لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين)

وفي توعُدِه بالسجن ضعفٌ، وكان فيما يروى أنه يفزع منه فزعًا شديدًا، حتى كان اللعين لا يمسك بوله، وروي أن سجنه كان أشد من القتل، وكان إذا سجن أحدًا لم يخرجه من سجنه حتى يموت، فكان مخوفًا، ثم لما كان عند موسى عليه السلام من أمر الله تعالى ما لا يرعه توعد فرعون قال له على جهة اللطف به والطمع في إيمانه: ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء: 30]"؛ تفسير القرطبي:

♦ سيدنا قويُّ القلب واليقين بربه تعالى، فلا يبالي بتهديد فرعون، بل يعرض عليه برهانًا لعله يرتدع ويقتنع: ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴾.

ولا زال يحاورهم حتى جاء اليوم الذي يريهم جميعًا المعجزة التي ستقهر كذبهم، وتدلهم على أن وراء هذه الدعوة قوة عظيمة لا تعجزها شيء، قوة الله العزيز الرحيم سبحانه: فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا ﴿ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (40) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (41) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (42) قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (43) فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (44) فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (45) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (46) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (47) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ [الشعراء: 40 - 48].

**حتى السحرة تعلموا أسلوب المحاورة الذي يعزّزه الإيمان، ويكتب حروفه اليقين:**

﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (46) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (47) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (48) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (49) قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (50) إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: 46 - 51].

وسيدنا نوح الذي ظل يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، كم دار فيها من محاورات ومجادلات! ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (110) قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ (111) قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (112) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (113) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (114) إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (115) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (116) قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (117) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (118) فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (119) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (120) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (121) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء: 110 - 122].

وقد جاء في هذه السورة سبع قصص للأنبياء، فيها ما فيها من جدال، وإقامة للحجة على المكذبين فآمن من آمن وكفر من كفر، ورغم حرص الأنبياء والدعاة على استخدام الوسائل المؤثرة والأساليب النافعة؛ إلا أن هناك ثلة من الخلق لا ينتفعون بتك الدعوة المباركة، **فما موانع الانتفاع بدعوة الأنبياء؟ ما موانع الاستجابة للحق؟**

**1ــ الإعراض عن الحق اتباعًا للهوى، والتكذيب والاستهزاء بالحق:**

﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (5) فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [الشعراء: 5، 6]، وإعراضهم يظهر من خلال استهانتهم بالوعيد، وجرأتهم على الدعاة: ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (153) مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [الشعراء: 153، 154].

(﴿ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (200) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (201) فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (202) فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ (203) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (204) أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (205) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (206) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴾ [الشعراء: 200 - 206].

وسبب هذا التكذيب ولهذا كان من دعاء الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (87) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: 87 - 89].

**2ــ التقليد الأعمى للأباء دون بينة أو برهان: ﴿ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [الشعراء: 74].**

واتباع الكبراء دون نظر في مدى صدقهم، وهاهم يتبرؤن يوم القيامة منهم ويعترفون بأنهم حجبوا عقولهم عن التفكر في كلام الأنبياء: ﴿ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (96) تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (97) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (98) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (99) فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (100) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (101) فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (102) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (103) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء: 96 - 104].

وتهديدهم لنبي الله نوح يدل على أنهم مغيبون عن رؤية الحقيقة، ويفتقدون أدنى معاني الحجة أو الدليل على ما هم عليه: ﴿ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾ [الشعراء: 116]، و ﴿ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (167) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ (168) رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [الشعراء: 167 - 169]، وهكذا، ويؤكد أنهم سلموا زمام أمورهم لغيرهم امتناعهم حتى عن الاستماع للحق بآذان الإنصاف: ﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ (136) إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (137) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ [الشعراء: 136، 138].

ويؤكد أنهم استحبوا طاعة أهل الضلال والفساد، تلك الدعوة من نبي الله صالح؛ حيث يحذرهم من المفسدين، لكنهم قابلوا تلك الدعوة بالتهكم والسخرية، ﴿ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (151) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (152) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (153) مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [الشعراء: 151 - 154].

**3ــ الاستكبار عن اتباع الحق وحسدهم بحجة أن أهله ضعفاء: ﴿ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ (111)** قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (112) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (113) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (114) إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ [الشعراء: 111 - 115].

ويؤكد أن الاستكبار أعمى بصيرتهم عن رؤية الحق، تلك الدعوة من نبي الله صالح التي قوبلت بالتهكم والسخرية، ﴿ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (151) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (152) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (153) مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [الشعراء: 151 - 154].

وهل منع كثيرُا من كفار قريش اتباع النبي صلى الله عليه وسلم إلا الحسد والاستكبار؛ يقول ابن كثير عن تفسير قوله تعالى: ﴿ انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: 48]؛ أي فلا يهتدون إلى الحق ولا يجدون إليه مخلصًا، قال محمد بن إسحاق في السيرة: حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أنه حدث أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف ابن زهرة خرجوا ليلة، ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي بالليل في بيته، فأخذ كل واحد منهم مجلسًا يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا حتى إذا جمعتهم الطريق فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئًا، ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، حتى إذا جمعتهم الطريق، قال بعضهم لبعض مثل ما قال أول مرة، ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا، فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان بن حرب في بيته، فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد، قال: يا أبا ثعلبة، والله لقد سمعت أشياءَ أعرفها وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياءَ ما عرفت معناها ولا ما يراد بها، قال الأخنس: وأنا والذي حلفت به، قال: ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته، فقال: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد، قال: ماذا سمعت، تنازعنا نحن وبنو عبدمناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الرُّكب وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه، والله لا نؤمن به أبدًا ولا نصدِّقه، قال: فقام عنه الأخنس وتركه.

**4ــ المصالح والمناصب الدنيوية: وتأمل ماذا كان همُّ السحرة قبل أن يؤمنوا؟** كان همهم كسب المنافع الدنيوية بغض النظر عن نصرة الحق: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (41) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [الشعراء: 41، 42].

**5ــ مرض القلب وعدم السعي في طهارته استعدادا للقاء الله:**

ولهذا كان من دعاء سيدنا إبراهيم: ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (87) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: 87 - 89].

ثم ختمت السورة ببيان إعجاز القرآن الكريم، وصدق النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهذه سمة مطردة في سائر السور التي ترد فيها قصص الأنبياء السابقين، لا بد وأن تختم بشئ من حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم في إشارة صريحة إلى أنه خاتم النبيين وأفضل المرسلين، وأنه لا يصح إيمان عبد إلا بالإيمان بهذا بالقرآن وبالنبي الأمي الخاتم، ومحبته والدعوة إلى ما دعا إليه:

﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿192﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿193﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿194﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿195﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿196﴾ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿197﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿198﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿199﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿200﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿201﴾ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿202﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿203﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿204﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿205﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿206﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴿207﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿208﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿209﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿210﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿211﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿212﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿213﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿214﴾ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿215﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿216﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿217﴾ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿218﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿219﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿220﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿221﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿222﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿223﴾ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿224﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿225﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿226﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: 192 - 227].

اللهم اجعل قبورنا روضة من رياض الجنة.